الملخص:

المقال دراسة تتناول المحاور الكبرى لمنهج الإمام عبد الحميد بن باديس في الإصلاح والتجديد في الجزائر خلال فترة الاستعمار الفرنسي، وقد أبانت عن فقه واسع ودقيق بالواقع الجزائري والإسلامي، حيث أبرز ظاهرتين هما: التخلف والاستعمار. وكانت أهداف الإصلاح والتجديد عنده تتمثل في ا- العودة إلى الأصول المرجعية للأمة. ب – المحافظة على مقومات الشخصية الجزائرية. ويهدف البحث إلى بيان إمكانية الاستفادة من تجربة ابن باديس في الإصلاح والتجديد في حياتنا المعاصرة.

Résumé :

La jurisprudence de la réalité et son importance dans le processus de changement d'après l'Imam Abdelhamid Ben Badis.

L'article traite de l'étude des grands axes de l'approche de l'Imam Abdelhamid Ben Badis dans la réforme et le renouvellement effectués en Algérie durant la période coloniale française. Ceux- ci ont bénéficié d'une large jurisprudence relative à la réalité exacte de l'Algérie et du vécu des musulmans, à coté de deux importants phénomènes à savoir : le sous-développement et le colonialisme. Les objectifs de la réforme et de renouvellement est de revenir à la référence A- qui est l'actif de la nation. B - en conservant les éléments personnels de l'Algérie. La recherche vise à libérer la possibilité de tirer profit de l'expérience d'Ibn Badis dans la réforme et le renouvellement de notre vie contemporaine.

Abstract :

This article deals with the major axes of Imam Abdelhamid Ben Badis approach in the reform and the renewal done in Algeria during the French colonial period. This case had largely demonstrated, the exact reality of Algeria and the Muslim reality too, and also the two most important phenomena which are the underdevelopment and the colonialism. The reform's and the renewal's objectives concerns the return from the -A- reference to B which are the assets of the nation by retaining the personal elements of Algeria. This present research aims to benefit from Ibn Badis experience in the reform and in the renewal of our contemporary life.

مقدمة:

إن الإمام عبد الحميد بن باديس صاحب مشروع حضاري بعيد الأفق ، وضع أسسه بكل وضوح و باشر إنجازه بكل عزم و أناة ، و استطاع أن يحقق كثيرا من أهداف مشروعه الإصلاحي التّجديدي ، من خلال جهود كثيفة متواصلة حقق فيها تناغما و تفاعلا عميقا بين الحقيقة الإسلامية كما وردت في نصوص الوحي و بين الواقع الإنساني في الجزائر .و نظرا لأهمية هذا الجهد الاصلاحي التجديدي ،رأينا أن نعرض بعض معالمه الكبرى كتجربة رائدة في الإصلاح و التّغيير، يمكن الاستفادة منها في حياتنا المعاصرة خاصة و أن إطلالة الامام على روح العصر كانت قوية ، في فترة عصيبة امتحن فيها الشّعب الجزائري في مقومات وجوده .

وقد اخترنا تناول هذا الموضوع من خلال الحديث عن عنصرين هما :1- تقويم ابن باديس للواقع الجزائري والاسلامي.2-أهداف التجديد والإصلاح عند ابن باديس.

1 - تقويم ابن باديس للواقع الجزائري والاسلامي:

من الشروط الأساسيّة لنجاح حركات التغيير الإصلاحيّة، فهم الواقع الإنساني المراد تغييره، والوقوف على عناصر تكوينه وعوامل تفاعله وخصائصه، من أجل رسم خطّة للمعالجة واتّخاذ الأساليب والوسائل المناسبة للتغيير والإصلاح. وعليه كان من الضّروري أن تنطلق هذه الحركات من هموم الواقع وتحديات البيئة المستهدفة بالتّجديد.

وهذا ما فعله ابن باديس في حركته إذ عمد إلى فحص الواقع وفهم العصر الذي يعيش فيه بنظرة الخبير المطلع، وتواصل مع كل فئات المجتمع، وانطلق من عمق المعاناة الشعبية. وقد أدى تقويمه للواقع إلى إبراز عنصرين أساسين هما: أ- ظاهرة التخلف. ب – ظاهرة الاستعمار.

أ- ظاهرة التخلف: حددها ابن باديس من خلال وصف-مسجي- لواقع المسلمين كما رآه فقال: "رأينا كما يرى كل مبصر ما نحن عليه معشر المسلمين من انحطاط في الخلق وفساد في العقيدة وجمود في الفكر وقعود عن العمل وانحلال في الوحدة وتعاكس في الوجهة وافتراق في السير" هذه هي مظاهر الفساد والخلل التّي لاحظها ابن باديس وهي تشمل

مجالات الحياة الأساسية روحيّا وماديّا، وهي الأخلاق والعقيدة والفكر والعمل والعلاقات الاجتماعية على تنوعها.

وإنّ هذا التوصيف لواقع المسلمين هو توصيف واحد حيثما وجدت شعوب الإسلام في سائر الأوطان، ممّا يدل على أنّه وصف عام يشير بوضوح إلى تدنّي المستوى الحضاري للأمة الإسلامية، وهو ما أكده ابن باديس بقوله: "رأينا هذا كلّه كما رآه المسلمون كلّهم وذقنا الأمّرين مثلهم." ويمكن أيضا أن نتفق على تسمية هذا التوصيف بظاهرة التخلف التي هي: " نمط من الوجود تنحطّ فيه الأوضاع النفسيّة والذهنيّة والسلوكية والاجتماعية والسياسيّة والاقتصادية عن المستوى المقبول في معايير المنهج الرّباني وعن الوفاء بمتطلبات العيش الكريم الملائم للإنسان المسلم."

وإزاء هذا الواقع المؤلم الذي يعيشه المسلمون، وقف ابن باديس بين يدي الله تعالى، يبحث عن المخرج، بحثا صادقا ملحّا، نابعا عن قلب مشفق محبّ لأمته، متلمسا طريق الهداية من ربّ العالمين، وقد عبّر عن هذه الحالة النفسية بحالة (الفزع إلى الله) فقال: " ففزعنا إلى الله الذي لم تستطع هذه الأهوال والمصائب كلّها أن تمسّ إيماننا به وتزعزع ثقتنا فيه فاستعذنا واستجرنا واستخرنا وتوسّلنا إليه جلّ جلاله بالإيمان وسابق آلائه وجأرنا إليه بأسمائه".

لقد فهم ابن باديس طبيعة المرحلة التي تمر بها الأمّة الإسلامية، وتأمّلها بمنظار قرآني دقيق وعلم أنّها الطور الأخير من أطوار الأمم ، وهو طور التقهقر والضعف والانحلال الذي جاء ذكره في قوله تعالى: (وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا) الإسراء: ٥٨ وبيّن أن الوصف القرآني الذي ينطبق على الأمة الإسلامية في هذا الطور هو(العذاب الشديد) فقال: "وأمّا القرى التّي قضى عليها بالعذاب الشديد فهذه لا تزال بقيد الحياة فتداركها ممكن وعلاجها متيسر، مثل الأمم الإسلامية الحاضرة، فممّا لاشك فيه أنّ فينا ظلما وعتوّا وفسادا وكفرا بنعم الله وأنّنا من جرّاء ذلك لفي عذاب شديد ".

ولا شك أنّ علّة العلل فيما أصاب المسلمين من تخلف وانحطاط وأمراض ومحن يرجع إلى بعدهم عن الإسلام ومخالفتهم لشرع الله تعالى إذ: "مخالفة السنّة النبويّة والهدي المحمدي وما كان عليه الرّسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في تنفيذ شرع الله وتطبيق

أحكامه وتمثيل الإسلام تمثيلا عمليّا تلك المخالفة هي بسب كلّ بلاء لحق المسلمين حتّى اليوم بحكم صريح هذه الآية وهو يعني قوله تعالى: (لَا تَجْعَلُوا دُعَاء الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاء بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُم عَذَابٌ أليم) النور: ٦٣.

وإنّ من أعظم البلاء وأشدّ العذاب الذي أصاب الأمة الإسلاميّة بسبب بعدها عن منهج الله، إنّما جاءها- كما يرى ابن باديس- على يد من له السلطة في تدبير أمرها والتصرّف في شؤونها من الحكّام الجائرين منها أو من غيرها فإنّه إذا جار السّلطان "فسد كلّ شيء، فسدت القلوب والعقول والأخلاق والأعمال والأحوال وانحطّت الأمّة في دينها ودنياها إلى أحطّ الدرجات ولحقها من جرّائه كل شرّ وبلاء وهلاك."

وإنّ النجاة من هذا (العذاب الشديد) أمر ممكن وتجنّب (الهلاك) أمر متيسّر إذا آبت الأمّة إلى ربّها بالتوبة النّصوح في جميع مجالات حياتها وذلك: "بالإقلاع عن الظلم والفساد والرّجوع إلى طاعة الله وإعمال يد الإصلاح في جميع الشؤون فيرتفع العذاب بزوال ما كان لنزوله من أسباب."

وقبل أن نتعرّف على خصائص هذا الإصلاح ومضامينه نتعرّف أولا على مظاهر الفساد التي انتشرت في الواقع الإسلامي والمجتمع الجزائري.

يبرز ابن باديس في وصفه للأمّة الإسلامية ذلك التناقض الموجود بين الإسلام وحياة المسلمين الواقعية فيقول: "فنحن ندين بالإسلام وهو دين السعادة الدنيوية والأخروية ولكن حيثما كنّا - إلاّ قليلا- لسنا سعداء لا في مظاهر تديّننا ولا في أحوال دنيانا، ففي الأولى نأتي بما يبرأ منه الإسلام ونصرّح بأنّه من صميمه. وفي الثانية ترانا في حالة من الجهل والفقر والتفرّق والذلّ والاستعباد يرثى لها الجماد."

كما يأسف على حال الأمة الجزائرية التي لم تعد تمثل الإسلام بسيرة مجموعها وأفرادها، إذ فقدت- مع تراكم رواسب الانحطاط- الرؤية الواضحة لأصول مرجعيتها الدينية وهي الكتاب والسنّة وما كان عليه السلف الصالح، فلم تعد حقيقة الإسلام واضحة في تصوّرها ولا حيّة في وجدانها ولا حتّى متداولة متناقلة بين الناس.

ففي المجال الدّينيّ أصيب المسلمون الجزائريون بآفات الجهل والجمود والدّجل والخرافة والبدع وكل أنواع الأباطيل التي تفسد على الناس عقولهم وتضيّع عليهم أموالهم. وهذه الآفات كلّها أمراض وضلالات جعلت المسلم الجزائري ينحطّ عن المقام اللائق به لأنّها "لابست عقائده فأزاغتها واتّصلت بفطرته فأفسدتها وطغت على أخلاقه الفاضلة فجرفتها ودبّت إلى مكمن اليقين منه فابتلته بخواصّها وما خواصّ هذه الضّلالات إلاّ الوسواس والوهم والذبذبة."

وفي المجال العلمي رصد ابن باديس ظاهرة التقليد الأعمى التي أدّت إلى جمود الفكر والانقطاع عن التعامل مع الكتاب والسنّة وأصول الاجتهاد فقال: "كما أدخلت على مذهب أهل العلم بدعة التقليد العام الجامد، التي أماتت الأفكار وحالت بين طلاّب العلم معين السنّة والكتاب ، بل صيرتهما في زعم قوم غير محتاج إليهما من نهاية القرن الرّابع إلى قيام الساعة، لا في فقه ولا استنباط ولا تشريع استغناء عنهما (زعموا) بكتب الفروع من المتون والمختصرات ، فأعرض الطّلاب عن التفقه في الكتاب والسنّة وكتب الأئمة وصارت معانيها الظّاهرة بله الخفية مجهولة حتّى عند كثير من كبار المتصدّرين ."

كما أدّت ظاهرة الجمود والتقليد - على المستوى الاجتماعي- إلى سدّ باب عظيم من الخير فتحه الإسلام للناس وتعطيل شعيرة من أعظم شعائر الإسلام وهي الوعظ والإرشاد وذلك بسبب القصور العلمي لدى الوعاظ والخطباء، والغفلة عن اعتبار الواقع والنّظر في أحوال الناس فإنّ " أكثر الخطباء في الجمعات اليوم في قطرنا يخطبون النّاس بخطب معقّدة مسجّعة طويلة من مخلفات الماضي لا يراعي فيها شيء من أحوال الحاضر وأمراض السّامعين تلقي بترنّم وتلحين أو غمغمة وتمطيط ثمّ كثيرا ما تختم بالأحاديث المنكرات أو الموضوعات."

ومن المظاهر السلبية التي رصدها ابن باديس أيضا في المجال العلمي، ظاهرة التنابذ والعداوة بين أهل العلم من المتعلمين باللّغة العربيّة والمتعلمين باللّغة الأجنبيّة. يقول ابن باديس: "العلوم في الجزائر...منها علوم تؤخذ باللّسان العربيّ وهي علوم الدّين واللّسان ومنها علوم تؤخذ باللّسان الأجنبيّ وهي علوم الأكوان والعمران وقد كان الذين يزاولون العلوم الأولى على جمود تامّ كما كان الذين يزاولون العلوم الثانية على تيه وضلال فهؤلاء يعتبرون الآخرين أحجارا وأولئك يعتبرون هؤلاء كفّارا. "

أمّا في المجال الاجتماعي، فإنّ الأمّة الجزائرية كانت تشكو في صمت حياة بائسة ضاعت فيها حقوقها وكرامتها، وغدت في حالة شديدة من الوهن أضعفت روابطها الاجتماعية بأفكار مسمومة وأوهام مدخولة فصارت فريسة مستباحة لكل طامع فـ: "برغم ما في الأمّة الجزائرية من أصول الحيويّة القويّة، فقد عركتها البلايا والمحن حتّى استخذت وذلّت، وسكتت على الضيم ورئمت للهوان، وبرغم ما بينها من روابط الوحدة المتينة فقد عملت فيها يد الطرقية المحرّكة تفريقا وتشتيتا، حتّى تركتها أشلاء لا شعور لها ببعضها ولا نفع، تتخطّفها وحوش البشريّة من هنا وهنالك بسلطان القوّة على الأبدان أو شيطان الدّجل على العقول والقلوب ."

وتعتبر فئة الشّباب، المرآة العاكسة لعمق تلك المأساة الاجتماعيّة وأبعادها، فهم على حدّ تصنيف ابن باديس "شباب أنساه التعليم الاستعماري لغته وتاريخه ومجده، وقبّح له دينه وقومه وقطع له من كل شيء إلاّ منه أمله وحقّره في نفسه تحقيرا." وهؤلاء هم صنائع المدرسة الاستعمارية أعدتهم ليكونوا أعوانا لها على تحقيق ما يراد من أمّتهم بوعي منهم أو بغير وعي.

ومنهم شباب يكابدون مشقة العيش ويتجرعون آلام الحرمان والتهميش ويرتمون في متاهات الفراغ والضياع والإهمال وهم أكثر الأمّة " شباب جاهل أكلته الحانات والمقاهي والشوارع، ومن وجد العمل منهم لا يرى نفسه إلاّ آلة متحرّكة في ذلك العمل لا همّ له من ورائه في نفسه فضلا عن شعوره بأمر عام."

ومنهم "شباب حفظه الله للإسلام والعروبة فأقبل على تعلمها لكنه تعلم سطحي لفظيّ خال من الرّوح، لا يعتزّ بماض ولا يألم لحاضر ولا يطمح لمستقبل، اللهم إلاّ أفراد قلائل هنا وهناك." وهؤلاء هم قلّة في الأمة، لا تثير فيهم المعارف التي اكتسبوها سؤالا ولا تحرّك مظاهر مأساة المجتمع منهم ساكنا، يلفهم الجمود إلاّ القليل منهم ممّن أحياه الله بالعلم.

وبنظرة نقدية فاحصة، تبحث عن مصدر التخلف والفساد، ينظر ابن باديس إلى الطرقية- المنتشرة في الجزائر وفي العالم الإسلامي- على أنّها حامية تلك الضلالات والبدع في الدّين، الوصيّة على هذا الجمود في الفكر والانحراف في العقيدة، المفرّقة لوحدة الأمّة، المستغلة لعامّتها وخاصّتها على السّواء.

من الأمور التي يعدّدها ابن باديس من مفاسد الطرقية: تشويه صورة الإسلام بما يظهر من أهل الطرق من سلوك لا أخلاقي، وبما يمارسه كثيرون منهم من شعوذة ودجل، وزيادة على ذلك عرقلتهم لكل عمل إصلاحي، ووقوفهم حجر عثرة في طريق كل داع إلى الله بكتاب الله وسنة رسوله وهدي السلف الصالح.

ونتيجة لتراكم رواسب الانحطاط على الأمّة منذ قرون، بسطت الطرقية نفوذها على العقول والأبدان، مستغلة جهل الناس وأمراضهم وبؤسهم ويأسهم وانتهت إليها السلطة الرّوحية حتّى صارت "الخطّة الطرقية من الخطط الإسلامية في الحكومات المصريّة التي تحميها وتؤيدها فصارت البدع والضلالات رسميّة في نظر المسلمين وغير المسلمين." وأما في الجزائر فقد "كان النّاس كأنّهم لا يرون الإسلام إلاّ الطرقية، وقد زاد ضلالتهم ما كانوا يرون من الجامدين المغرورين من المنتسبين للعلم من التمسك بها والتأييد لشيوخها." فكانوا بسلوكهم هذا فتنة للعامّة مضللين لها عن الحقّ.

وبعد بيان مظاهر التخلف وتعيين مواطن الفساد يحدّد ابن باديس مسؤولية هذا التخلف ويجعلها معلّقة برقاب العلماء بالدّرجة الأولى فيقول: [بحثنا في أسباب تأخرنا فأسفرت جميع البحوث عن نتيجة صحيحة ألا وهي أنّ من أقوى الأسباب، تقاعس العلماء عن أداء الواجب نحو أنفسهم وأمّتهم، أما الواجب نحو أنفسهم، فهو تعارفهم واجتماعهم واستثمار مواهبهم وإحكام الرّابطة الدينية التّي تدعّم مركزهم وتجعل كلمتهم مسموعة وجانبهم محترما. وأما الواجب نحو أمّتهم، فهو إجماعهم دون شذوذ أحد على إنهاضها بإرشادهم ونصائحهم الغالية. وإنّكم لا ترتابون بأنّهم قد أخلّوا بالواجبين معا. فحينئذ ففوضى العموم السّائدة تابعة لفوضى العلماء الذين هم في نظر العقلاء بمنزلة الرأس من الجسد والرّاعي من الرّعية.]

وقد كان من آثار ضعف العلماء وإخلالهم بوظيفتهم الدّينية الاجتماعية ما آل إليه حال المسلمين من الابتعاد عن هداية الإسلام وذلك ما يؤكده ابن باديس بقوله: "إن جمود العلماء هو أقوى الأسباب فيما نراه من بدع الطّرائق في الاعتقادات والعبادات الذي أضرّ بطبقات عامّتنا، ومن زيغ عن الدّين، وفتنة بالمدنيّة اللّذين أضرّا بكثير من شبابنا، وأنّه لو سلك العلماء في علمهم وتعليمهم طرق النّظر والاستدلال و التفقه في الكتاب والسّنة

وسير سلف الأمّة ومراجعة كتب المتقدّمين ، لو فعلوا ذلك لكانوا نشروا من هدي الإسلام الصّحيح ما يسير بأبنائه لسعادتهم الدنيويّة و الأخروية في طريق مستقيم ."

ولأجل ذلك نجد ابن باديس لا يفتأ يذكر العلماء بمنزلتهم وبضرورة أداء واجبهم ويخوّفهم من عاقبة التفريط أمام الله ويدعوهم إلى المبادرة بالإصلاح فيقول: "وإذا راجعنا تاريخ المسلمين في سعادتهم وشقائهم وارتفاعهم وانحطاطهم وجدنا ذلك يرتبط ارتباطا متينا بقيام العلماء بواجبهم أو قعودهم عمّا فرضه الله وأخذ به الميثاق عليهم، ولهذا نحن ندعو العلماء كلّهم إلى أن يذكروا هذا الميثاق وأن لا ينبذوه وراء ظهورهم وأن يبادر كل ساكت وقاعد إلى التوبة والإصلاح والبيان. فقد علموا قول الله تعالى (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ) آل عمران: ١٨٧ (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (١٥٩) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) البقرة: ١٥٩ - ١٦٠

ما نخلص إليه أنّ ابن باديس من خلال استقرائه لواقع المسلمين وواقع الجزائريين، حدّد طبيعة المرحلة التاريخيّة التّي تمر بها الأمة وتعرّف على خصائصها، كما عيّن مصدر تخلف الأمة وعلّته وكذلك حدد المسؤول الأوّل عن ذلك كلّه، فكان بهذا التشخيص يمتلك تصوّرا واضحا وشاملا ودقيقا عن الواقع الذي يريد تغييره.

ب – **ظاهرة الاستعمار**: لم يكن التخلف وحده هو سبب الوضع المأساوي للجزائريين، ولكن أيضا وبشكل بارز وجود الاستعمار الفرنسي الذي جثم طويلا وبقوّة على العباد والبلاد.

يرى ابن باديس أن الاستعمار الفرنسي أثقل الأمّة الجزائرية بالمظالم وقد جاءت إلى الجزائر- مرّات عديدة - لجان من فرنسا تبحث في حالة المسلمين ولكن بدون جدوى. ولم تكن مطالب الجزائريين إلاّ تيسير العيش ونشر العلوم والصّنائع والرفق بهم والمساواة بينهم وبين الأوروبيين.

وقد كانت الإدارة الاستعمارية تسلك مسالك ملتوية إزاء مطالب الشعب وشكواه، فتحاول مساومة الأمّة على مطالبها العلمية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وكلّها

ضروريات الحياة، بتوزيع قناطير القمح، معتقدة أن الخبز كل ما تريد الأمّة، وأنّها إذا ملئت بطونّها مهدت لها ظهورها. وكل ذلك تعمية للواقع واستخفاف بالنّاس.

لقد عمل شيطان الاستعمار في الجزائر على سلخ الجزائريين من ذاتيتهم وتجريدهم من مقوماتهم. فقد عمد إلى تخريب المؤسسات الدّينية والعلمية والمراكز الثقافية واستولى على الأوقاف التي كانت تشرف على شؤون الدّين والتّعليم والشؤون الاجتماعية العامّة، وضيّق على العلماء وشرّدهم، وأوصد سبل العلم في وجوه الجزائريين، خوفا من تعلّم الجزائريين واحتقارا لهم، فكانت الإدارة الاستعمارية تجيب بالرفض على طلب فتح مدرسة للأهالي كما يقول فرحات عباس "إنّنا لسنا أهلا لها لأننا لا نقبل التربية ولا العلم. "

وقد حارب الاستعمار الدين الإسلامي واللغة العربية بشكل خاص، حربا شرسة محاولا إلغاءهما من الحضور الفردي والاجتماعي للجزائريين في إطار سياسة تنصير الجزائريين في فرنسا، وقد كتب الوزير نابليون جيروم في 1858م يقول: " نحن أمام قومية مسلحة صلبة يجب إخمادها بالدمج."

ولما فشل الاستعمار في تنصير الجزائريين عمد إلى تشويه الإسلام وتجفيف ينابيعه، وجنّد الطرقية ورجال الدين الموظفين للقيام بمهمة تجميد الإسلام وأمدهم بالعون المادي والمعنوي، ولطالما أعانت الحكومة أرباب الزوايا على ما هم فيه من ضلالة وعمى، فما من أحد يطلب منها أنّ تأذن له في زاوية يفتحها لنشر الخرافات إلاّ استجابت له بكل سرعة، وأذنت له وربّما أعانته بالمال وربّما منحته وساما وربّما كان ذلك وسام العلم...وربّما كان ذهبيّا، جزاء ما قتل من العقول وما ذبح وأمات من الفكر والشعور.

وقد لجأ الاستعمار أيضا إلى كسر شوكة الأمّة بمحاولة تمزيق وحدتها عملا بالمبدأ الرّوماني (فرّق تسد)، وأخذ يميّز بين الجزائريين، بين العرب والأمازيغ زاعما أنّهم مختلفون في الأصول العرقية وفي اللّغة، ناسفا ما بينهم من روابط روحية متينة.

ولا أدلّ على فضائع الاستعمار ، من الحالة المأساوية التي آل إليها الشعب الجزائري والتي وصفها ابن باديس بحالة (القرب من الفناء)،حين باشر عمله الإصلاحي الشامل فقال: "لقد كان هذا العبد يجاهد قبل عقد من السنين في هذا القطر القريب من الفناء، ليست له مدارس تعلّمه وليس له رجال يدافعون عنه ويموتون عليه، بل كان في اضطراب دائم مستمرّ و يا ليته كان في حالة هناء، وكان أبناؤه لا يذهبون إلاّ إلى المدارس الأجنبية التّي لا

تعطيهم غالبا من العلم إلاّ ذلك الفتات الذي يملأ أدمغتهم بالسّفاسف حتّى إذا خرجوا منها خرجوا جاهلين دينهم ولغتهم و قوميتهم وقد ينكرونها، هذه هي الحالة التي كنّا عليها في تاريخنا الحديث ."

وما نخلص إليه أن الجزائر تحت سيطرة الاستعمار الفرنسي كانت تعيش وضعا شاذا بين الأمم المستعمرة بسبب السياسة التخريبية الشاملة لكلّ مقومات الشخصية الجزائرية. وأن الاستعمار وإن كان نتيجة من نتائج تخلف الأمة وانحطاطها منذ قرون، إلاّ أنّه كرّس التّخلف وأعاق الأمّة عن النمو والتطور مدّة قرن كامل.

2 -أهداف التجديد والإصلاح عند ابن باديس:

لكل جهد إصلاحيّ تجديدي مرجعيّة ثابتة ينطلق منها ويرجع إليها، ومضامين إصلاحيّة لها صلة وثيقة بالمرجعيّة من جهة وبالواقع المراد تغييره من جهة أخرى، وتتم صياغة هذه المضامين الإصلاحية والتعبير عنها من خلال تحديد مجموعة أهداف. والأهداف عند ابن باديس تنحصر في هدفين أساسيين حيويين هما:

أ- العودة إلى الأصول المرجعيّة للأمّة. ب- المحافظة على مقومات الشخصيّة الجزائرية.

وقد ورد ذكر هذين الهدفين الحيويين في فاتحة السنة الثالثة عشرة من مجلة الشهاب، الأول في بيان مبدأ الإصلاح الدّيني في قول ابن باديس "وسنخطو هذه الخطوة - إن شاء الله تعالى- على ما عرفه النّاس من مبدئنا في الإصلاح الدّيني من ناحية العقائد والأخلاق والأفكار والأعمال تصحيحا وتهذيبا وتنويرا وتقويما، كلّ ذلك في دائرة الإسلام كما نزل به القرآن وبيّنته السنّة ومضى عليه- علما وعملا- السّلف الصّالح من هذه الأمّة."

والثاني في بيان مبدأ الإصلاح السياسي في قوله: "وعلى ما عرفوه من مبدئنا في الإصلاح السّياسي، وهو المحافظة التّامة على جميع مقوّماتنا ومميّزاتنا كأمّة لها مقوّماتها ومميّزاتها، والمطالبة بجميع حقوقها السّياسيّة والاجتماعية لجميع طبقاتنا دون الرضا بأيّ تنقيص أو أي تمييز."

أ- العودة إلى الأصول المرجعيّة للأمّة: يمثل الإطار المرجعي منطلقات الإصلاح والتجديد ومسلماته الثابتة التّي توجّه الفكر والسلوك، فهو بمثابة المعيار الذي توزن به الأعمال التي تحاول أن تقترب منه. والخلل الذي يعاني منه الواقع الجزائري والإسلامي، ليس مرجعه

افتقاد القيم أو فقر في الميراث الثقافي أو عجز وقصور في التّجربة الحضارية التّاريخية، وإنمّا هو اختلال العلاقة مع الإطار المرجعي وانقطاع الأسباب التي تربطه به.

والأصول المرجعيّة عند ابن باديس ثلاثة وهي: الكتاب والسنة وهدي السلف الصّالح. وقد عبر عنها شعار مجلة الشهاب:(لا يصلح آخر هذه الأمّة إلا بما صلح به أوّلها) وصاغها ابن باديس منذ 1926م فقال:"قد رأينا- ونحن نخدم أمّة مسلمة - أن نسعى لتهذيبها من طريق الإسلام، ولم نشكّ قطّ أنّ الإسلام ليس هو ما تمثّله بسيرة مجموعها وأفرادها، وأنّ الإسلام إنّما هو في كتاب الله وسنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كان عليه سلفها من أهل القرون الثلاثة المشهود لهم بالخيرية على لسان الصّادق المصدوق، فصمدنا ندعو الأمّة إلى الرجوع إلى هذه الأصول وطرح كلّ ما يخالفها من قول وعمل واعتقاد."

ويصوّب مالك بن نبي هذا التفكير وهذا الاختيار فيقول:" وإنه لتفكير سديد ذلك الذي يرى أن تكوين الحضارة كظاهرة اجتماعية إنّما يكون في الظروف والشروط نفسها التي ولدت فيها الحضارة الأولى، كان هذا صادرا عن عقيدة قوية، ولسان يستمد من سحر القرآن تأثيره، ليذكر الناس بحضارة الإسلام في عصوره الزاهرة."

لابدّ من عودة اتصال الفكر الإسلامي بالوحي وتفاعله معه ، ولابدّ من تقويم الواقع الإسلامي على أساس هديه، ولا بدّ أيضا من الاستفادة من التراث الإسلامي وخاصّة الاجتهاد الصائب الذي يمثل تجربة ثريّة للأجيال المسلمة يحسن استصحابها، وهذا ما يؤكده ابن باديس بقوله "لا نجاة لنا من هذا التيه الذي نحن فيه والعذاب المنوّع الذي نذوقه ونقاسيه إلا بالرجوع إلى القرآن ، إلى علمه وهديه وبناء العقائد والأحكام والآداب عليه و التفقه فيه وفي السّنة النبويّة شرحه وبيانه والاستعانة على ذلك بإخلاص القصد وصحّة الفهم و الاعتضاد بأنظار العلماء الرّاسخين والاهتداء بهديهم في الفهم عن ربّ العالمين ."

وما يلاحظ أنّ الدعوة إلى الرّجوع إلى القرآن والسنّة والسلف تأتي في أغلب كتابات ابن باديس مقرونة بالدعوة إلى الأخذ بأسباب الحياة والمدنيّة الرّاقية، ففي سياق بيان ابن باديس لدعوة العلماء يقول: "وإنّما يدعونها إلى الأعلام الهادية من كتاب الله وسنّة رسوله صلّى الله عليه وسلم وهدى السلف الصّالح من أمّته - رضي الله تعالى عنهم - يدعونها إلى

هذا في أمور دينها ويدعونها إلى مجاراة السّابقين في الحياة وأخذ حظّها موفورا من أسباب الحياة لتكون حيّة بدينها وحيّة في دنياها ولتكون سعيدة فيهما."

وهكذا يرى ابن باديس أن تمسك المسلمين بدينهم الصحيح، يحرّرهم من الجمود والتخلف ويدفعهم إلى العلم والعمل، حيث يتحركون في الأرض تعميرا وتطويرا وإصلاحا، ويوجّهون الحياة و المدنية وجهة أخلاقية راقية تنفع الإنسانيّة .كما يدعو إلى الانفتاح الحضاري المتبصر على ما عند الأمم الأخرى فيقول :"...ونحسّن ما كان من أخلاق الأمم حسنا وموافقا لحالنا وتقاليدنا ونقبله ، ونقبّح ما كان منها قبيحا أو مباينا لمجتمعنا وبيئتنا ونرفضه، فلسنا مع الجامدين في جمودهم ولا مع المتفرنجين في طفرتهم وتنطعهم ، والوسط العدل هو الذي نؤيّده وندعو إليه ..."

كان هدف ابن باديس هو السعي لإحداث نهضة شاملة في الجزائر، وكان حلمه الكبير إقامة مجتمع إسلامي يعيش مع القرآن، وينظم حياته وفق أخلاق القرآن، وكان سعيه الدائم من أجل تحقيق هذا الحلم هو إيجاد الظروف العلمية التي تساعد على بناء مشروع ثقافي تربوي، ينير حياة الأمة، ويعيد لها مجدها ويقظتها، ويبعث الحيوية في نفوس أفرادها، ويدفعهم إلى محاربة اليأس والجمود والغفلة لكي يشقوا طريقهم إلى النّهضة.

العودة إلى الإسلام الصحيح القرآن والسنة وهدي السلف الصّالح، وخدمة العروبة والتفتح على مدنية العصر والأخذ بأسباب الحياة من علم ولغة ومن أي جنس، كانت هي الشروط الضرورية لإحداث النهضة الشاملة التي تنقذ الجزائر من ظاهرة التخلّف ومن خطر التغريب كما يرى ابن باديس: "نعمل لصلاح الأمّة في دينها ودنياها على نور الكتاب والسنة وهدي السلف الصالح، فتتمسك الأمّة بإسلامها وعروبتها وتحافظ على قوميتها وتاريخها وتتناول أسباب الحياة والتقدم من كلّ جنس وكلّ لغة وتعمل مع كلّ عامل لخير البشرية وسعادة الإنسان."

كان لابد للإصلاح أن يطهر العقيدة وأن يحرّر العقل وينوره، وأن يصحح السلوك ويهذّب الأخلاق لكي تستقيم حياة الجزائريين وحياة سائر المسلمين. وفي ذلك يقول ابن باديس: "وليس ما ندعو إليه ونسير على مبادئه من الإصلاح بالأمر الذي يخص المسلم الجزائري ولا ينتفع به سواه، كلاّ فإنّ صحّة العقيدة واستنارة الفكر وطهارة النّفس وكمال

الخلق وهذا هو الإصلاح كلّه، ممّا يشترك في الانتفاع به جميع المسلمين بل جميع بني الإنسان."

وما نخلص إليه: أن الحركة السلفية التي أقام دعائمها عبد الحميد بن باديس تدعو المسلمين إلى الرّجوع إلى صفاء الدّين كما أنزل وكما فهمه السلف الصالح وطبّقه، قبل أن تشوه صورته الانحرافات والأهواء والبدع، مع دعوتها إلى ضرورة الأخذ بأسباب الحياة الدنيوية ومواكبة أمم العصر في الرقي والعمران.

ب- المحافظة على مقومات الشخصيّة الجزائرية: إنقاذ الجزائر من أن تضيع من الإسلام كما ضاعت الأندلس تلك هي الغاية التّي جعلت ابن باديس يجمع روّاد الإصلاح عام 1928م ويستنفرهم لتوحيد الجهود في العمل قبل فوات الأوان. إنّ وضع الجزائر المتأزم لم يعد يحتمل السّكوت والسكون ولابد من تكثيف جهود الإصلاح وتوسيعها، قال ابن باديس مخاطبا العلماء:"أيها العلماء...أصبح من المعلوم لدى كلّ واحد أنّ العدوّ الاستعماري والصليبيّ قد اغتصب أرضنا ودفع شعبنا إلى السّكن في الكهوف ومغاور الجبال وأصبح شغله الشاغل إضعاف الشخصية الجزائرية سياسيّا في طريق القضاء على وجودها لتحلّ محلّها الشخصيّة الفرنسيّة. "

وابن باديس في هذا الاجتماع يضع العلماء في خطّ المواجهة مع الاستعمار، وتلك هي المسؤولية التي يجب أن يتحملوها، مشّبها يوم اجتماعهم هذا بذلك اليوم الذي وقف فيه طارق بن زياد خطيبا في جيش المجاهدين على ربوة جبل طارق بعد أن أحرق سفنهم التّي حملتهم إلى الجهاد في الأندلس وقال قولته المشهورة " أيّها النّاس أين المفرّ، البحر وراءكم والعدوّ أمامكم وليس أمامكم غير الموت أو النّصر."

وأمّا ابن باديس فقد قال للعلماء: "وأنا أقول لكم في هذا اليوم لم يبق لنا إلاّ أحد أمرين لا ثالث لهما: إمّا الموت والشهادة في سبيل الله منتظرين النّصر الذي وعد الله به عباده المؤمنين أو الاستسلام ومد أيدينا إلى الأغلال وإحناء رؤوسنا أمام الأعداء، فتكون النتيجة لا قدرّ الله أن يجري علينا ما جرى ببلاد الأندلس وغيرها من البلاد الإسلامية حين تركت الجهاد واستسلمت للأعداء."

قد يبدو من هذا الكلام أنّ ابن باديس اختار مواجهة الاستعمار بثورة شعبيّة أو انتفاضة مسلّحة، لكنّه في ذلك الوقت لم يكن يفكّر في ذلك، بل على العكس فضّل الخطّة

الدينيّة والمواجهة الثقافية لأنّه أدرك بنظرته العميقة لأهداف السياسة الاستعماريّة وتحليله الدقيق لأوضاع الجزائر، أنّ المحافظة على الذاتية الجزائرية بل إعادة بناء وبعث مقوّمات الشخصية الجزائريّة هو العمل الأساسي الأوّل والجهاد الأكبر الذي يجب أن يقوم به العلماء المصلحون، قال معلّلا هذا الاختيار"...اخترنا الخطّة الدينية على غيرها عن علم وبصيرة وتمسكا بما هو مناسب لفطرتنا وتربيتنا من النّصح والإرشاد وبثّ الخير والثبات على وجه واحد والسّير في خطّ مستقيم وما كنّا لنجد هذا كلّه إلاّ فيما تفرغنا له من خدمة العلم والدّين وفي خدمتهما أعظم خدمة وأنفعها للإنسانيّة عامّة ."

لقد اختار ابن باديس الخطّة الدّينية وذلك يعني تقديم القيام بالواجبات على المطالبة بالحقوق، الأمر الذي يقتضي البداية بتغيير الذات وتصفية الجبهة الدّاخلية من جميع الأمراض والانحرافات ومعالجة عوامل العجز والتخلف، لأجل ذلك كانت المحافظة على الهوّية الحضارية للمجتمع الجزائري، هدفا حيويّا ينسجم مع سنّة الله في التغيير (إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ) الرعد: ١١ ، ويقتضي عملا شاقا متواصلا ، ولكنّه مثمر وعميق النّفع على خلاف العمل السياسي، غير مضمون العواقب، والذي يقوم على المطالبة بالحقوق فـ : "القائد الذي يقول للأمّة: إنّك مظلومة في حقوقك وإنّي أريد إيصالك إليها، يجد منها ما لا يجده من يقول لها: إنّك ضالة عن أصول دينك وإنّي أريد هدايتك، فذلك تلبيه كلّها وهذا يقاومه معظمها أو شطرها وهذا كلّه نعلمه ولكنّنا اخترنا ما اخترنا لما ذكرنا وبيّنا ."

رابط ابن باديس على ثغر الدّين والثقافة سبعا وعشرين سنة، ونشط في جميع ميادين الإصلاح: التربية والتعليم، الوعظ والإرشاد، الصّحافة، تكوين الجمعيات والنّوادي مع الاتصال الدائم بكل فئات الشعب.

ودخل عالم الصّحافة العظيم، ليعمّم نشر الدعوة الإصلاحية، بثّا للمبادئ الدّينية الصحيحة، وتصحيحا للعقائد الفاسدة وتقويما للأخلاق المعوّجة وفضحا لجميع الانحرافات الدينية والاجتماعيّة، ومقاومة للخرافات والبدع وحماتها المتعيشين عليها، المستغلين للأمّة، المستفيدين من جهلها وتخلفها باسم الدّين أو باسم السياسة.

وعلى صفحات جريدة المنتقد دافع عن الذاتية الجزائرية في أوّل عدد قائلا: "نحن قوم مسلمون جزائريون...فلأنّنا مسلمون نعمل على المحافظة على تقاليد ديننا التي تدعو إلى

كلّ كمال إنساني...وفي المحافظة على هذه التقاليد المحافظة على أهمّ مقوّمات قوميتنا وأعظم أسباب سعادتنا وهنائنا...ولأنّنا جزائريون نعمل للمّ شعث الأمّة الجزائرية وإحياء روح القوميّة في أبنائها وترغيبها في العلم النافع والعمل المفيد حتّى ينهضوا كأمّة لها حقّ الحياة والانتفاع في العالم وعليها واجب الخدمة والنفع للإنسانيّة."

ثمّ ظهرت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لتكون أكبر تحدّ للعلماء وللأمّة يؤكد بقاء الجزائر عربية مسلمة، وكانت نهضة الأمّة أبلغ رد على غطرسة الاستعمار الذي احتفل عام 1930م بمرور قرن على احتلال الجزائر وموت الإسلام بها.

وكما كان الحفاظ على الإسلام وتجديده هدفا حيويّا من أهداف ابن باديس كذلك كان إحياء اللّغة العربيّة وترقيتها هدفا حيويا لأنّها تعرّضت مثل الدّين إلى اضطهاد شديد من قبل الاستعمار، وأوشكت أن تتلاشى بفعل التهميش والإقصاء وسياسة التجهيل والفرنسة.

وعلى هذا الأساس وجدنا جهود ابن باديس النظرية والعملية تصب كلّها في إعادة الفعالية الحضارية للغة العربيّة حتّى تصبح الأداة الأساسية في التفكير والكتابة والخطاب والتواصل بين الأجيال وهو يشير إلى هذا المعنى بقوله: "إنّ هذا اللّسان العربي العزيز الذي خدم الدّين، وخدم العلم وخدم الإنسان، هو الذي نتحدث عن محاسنه منذ زمان ونعمل لإحيائه منذ سنين. "

وقد بدا ذلك واضحا في حركة التربيّة والتعليم التّي بدأها في قسنطينة قبل الحرب العالمية الأولى ومن ثمّ انتشرت في سائر أنحاء الوطن وازدهرت بتأسيس جمعيّة العلماء وكان لهذه الحركة أثرها الكبير في تراجع مشروع الفرنسية وحصر مدّة وإضعاف تأثيره والتخفيف من حدّة الهجمة الفكرية الغربيّة على الشخصية الوطنية... ولعل من أبلغ ثمار هذه الحركة بروز نخبة هامّة من الأدباء والمفكرين الذين كوّنوا نهضة فكريّة وأدبيّة حملت راية اللّغة العربيّة.

عمل ابن باديس على إذكاء روح الوطنيّة وعلى توحيد الجزائريين وكان أوّل اهتمامه التركيز على وجود وطن للجزائريين له وجوده الحضاري المتميز عن فرنسا " إنّنا نحن فتشنا في صحف التاريخ وفتشنا في الحالة الحاضرة فوجدنا الأمّة الجزائرية المسلمة متكونة موجودة كما تكونت ووجدت كلّ أمم الدّنيا، ولهذه الأمّة تاريخها الحافل بسجلات الأعمال

ولها وحدتها الدّينية واللغوية، ولها ثقافتها الخاصّة وعوائدها وأخلاقها ...ولها وطن محدود معيّن هو الوطن الجزائري بحدوده الحالية المعروفة...ثمّ إنّ هذه الأمّة الجزائرية الإسلاميّة ليست هي فرنسا ."

والوطنيّة التي يتحدث عنها ابن باديس تشمل حبّ الإنسان لبيته ثمّ حبّه لبلاده ثمّ حبّه للوطن الكبير وهو الإنسانيّة. وهي الوطنية الإسلامية العادلة " إذ هي التّي تحافظ على الأسرة بجميع مكوّناتها وعلى الأمّة بجميع مقوّماتها وتحترم الإنسانيّة في جميع أجناسها وأديانها."

وحتىّ يكون الجزائري وطنيّا يجب أن يحب وطنه وأن يسعى في خدمته وأن يخرج من أنانيته فـ: "إنّما ينسب للوطن أفراده الذين ربطتهم ذكريات الماضي ومصالح الحاضر وآمال المستقبل، والنّسبة للوطن توجب علم تاريخه والقيام بواجباته من نهضة علمية واقتصادية وعمرانية والمحافظة على شرف اسمه وسمعة بنيه فلا شرف لمن لا يحافظ على شرف وطنه ولا سمعة لمن لا سمعة لقومه."

ونخلص إلى القول بأنّ العودة إلى الأصول المرجعية والمحافظة على مقومات الشخصية الجزائرية كانت من الأهداف الكبرى لمشروع التجديد الإسلامي الذي أسس دعائمه ابن باديس وتبنته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

خلاصة:

نرى أنّ ابن باديس وجمعية العلماء سعوا إلى بعث مقومات الأمة الجزائرية على أساس متين من الرجوع إلى أصول الدّين القرآن والسنة، وعلى رؤية واضحة للوسائل التي تحقق نهضة الأمة الجزائرية وكان ذلك تحديّا واضحا للسياسة الاستعمارية في جميع أبعادها، وذلك كلّه كان نتيجة عن فهم صحيح للواقع الجزائري.

وقد عرضنا هذا الموضوع لاعتقادنا أنه يجب الاستفادة من تجارب الاصلاح الماضية واستلهام العبر منها، خاصة وأن الجهد الاصلاحي التجديدي لا يمكن أن يقوم به فرد أو مؤسسة ولا جيل واحد، بل ينبغي أن يرتد إلى جهد تراكمي منظم ومخطط له، تساهم فيه الأجيال المسلمة؛ لأنّ أزمة الأمة الإسلامية ليست أزمة جزئية أو بسيطة؛ ولكنّها أزمة حضارة برمتّها تواجه تحديّا غربيّا رهيبا، يهيمن على كافة مجالات الحياة ويعمل على إلغاء وجودها في جدليّة "الأنا والآخر" بالمنظور الغربي.

المصادر والمراجع:

1- عبد المجيد النجار، في فقه التدين فهما وتنزيلا، ج1، كتاب الأمة، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر، ط1، 1410 هـ- 1989 م.

2- عبد الحميد بن باديس، (بواعثنا- عملنا- خطتنا- غايتنا)، السنة النبوية المحمديّة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، دون طبعة، دون تاريخ، ع1 س1، 8 ذي الحجة 1351 هـ.

3- عبد الكريم بكّار، تجديد الوعي، دار القلم، دمشق، ط1، 1421 هـ-2000م.

4- عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، من مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة الجزائر، ط1، 1402هـ-1982م.

5- عبد الحميد بن باديس في نحو عام (أعمالنا وآمالنا)، الشهاب، مج2، س2، ع32، 11ذي الحجة 1344هـ، 24جوان 1926 م.

6- عبد الحميد بن باديس، الشهاب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1 ،1421هـ-2001م، مج 12ج8.

7- عبد الحميد بن باديس، الصراط السوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، دون طبعة، دون تاريخ، س1، ع 9، 11 شعبان 1352هـ -27 نوفمبر 1933م.

8- عبد الحميد بن باديس، بيان لا لبس فيه إجابة لصوت الواجب، المنتقد، قدّم لها وصحّحها عبد الهادي قطش دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، دون طبعة، دون تاريخ، ع13.

9- عبد الحميد بن باديس، الشهاب، مج 11 ج 2.

10- عبد الحميد بن باديس، الشهاب، ج13 ج 5.

11- عبد الحميد بن باديس، الشهاب، مج 14ج1.

12- عبد الحميد بن باديس، الشهاب، مج13، ج3.

13- عبد الحميد بن باديس، الإصلاح أمس واليوم، الشهاب، مج11، ج12.

14- عبد الحميد بن باديس، الشهاب، مج7، ج1.

15-عبد الحميد بن باديس، الشهاب، مج4، س4، ع163.

16- عبد الحميد بن باديس، إلى علماء الزيتونة، الشهاب، مج12ج1، محرم1355هـ، أفريل1936م.

17- عبد الحميد بن باديس، شكوى الجزائر وبلواها، الشهاب، مج13، ج2.

18- عبد الحميد بن باديس، ليس الخبز كل ما نريد، الشهاب، مج 12، ج9.

19- فرحات عباس، ليل الاستعمار، ترجمة أبو بكر رحال، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب.

20- شارل روبير أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، ترجمة عيسى عصفور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 1982م.

21- محمد ناصر، المقالة الصحفية الجزائرية- نشأتها وتطوّرها - أعلامها من1903 م إلى1931م، مج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دط،1398 هـ-1978م.

22-عبد الحميد بن باديس، البصائر، لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1426هـ- 2005م، س4، ع71، 1939م.

23- عبد الحميد بن باديس، فاتحة السنة، الشهاب، مج13 ج1، 1 محرم 1356هـ-14مارس1937م.

24- محمد زرمان، الأسس النظرية لمنهج التغيير عند محمد البشير الابراهيمي، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الدولة في الفكر الإسلامي الحديث، إشراف العربي دحو، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، معهد الدعوة وأصول الدين، السنة الجامعية: 1995/1994م.

25-عبد الحميد بن باديس، في بحر عام (أعمالنا وآمالنا)، الشهاب، مج2، ع32، ذي الحجّة 1344هـ، قسنطينة،24جوان 1926م.

26-مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عمر كامل مسقاوي، عبد الصبور شاهين، بإشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق سورية، ط 4، 1407هـ – 1987م.

27- عبد الحميد بن باديس، خطاب رئيس جمعية العلماء الشهاب، مج9ج10، غرة جمادى الأولى1352 هـ، سبتمبر1933م.

28-عبد الحميد بن باديس، خطتنا -مبادينا -وغايتنا -وشعارنا، المنتقد، ع1، 11ذي الحجة 1343هـ، 2جوليت 1925م.

29- عبد القادر فضيل، الفكر التربوي الباديسي الحاضر الغائب، مجلة الوعي، ع 1، رجب - شعبان 1431هـ – جويلية 2010م.

30- عبد الحميد بن باديس، فاتحة العام الثاني من العقد الثاني، الشهاب، مج12.

31- محمد خير الدين، مذكرات، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، دون طبعة، دون تاريخ.

32-عبد الحميد بن باديس، حول تصريحات الوالي العام، الصّراط السوي، س1، ع15، قسنطينة8 رمضان1352هـ، 25ديسمبر1933م.

33- عبد الحميد بن باديس، نص التقرير الكامل التقرير الادبي، نقله من إلقاء الرئيس، محمد الغسيري ومحمد الصالح رمضان، البصائر، س4، ع 171، الجمعة جمادى الأولى 1358هـ – 23 جوان 1993م.

34- محمد زرمان، من معالم التغيير الحضاري عند ابن باديس، الموافقات، ع6، س1481هـ- 1997م.

35- عبد الحميد بن باديس، كلمة صريحة، الشهاب، مج 12، ج1، قسنطينة، غرّة محرم 1355هـ- أبريل 1936م.

36- عبد الحميد بن باديس، الحّق فوق كل أحد والوطن قبل كلّ شيء، الشهاب، مج 13ج 7، قسنطينة رجب 1356هـ، سبتمبر 1937م.

37- عبد الحميد بن باديس، الرجل المسلم الجزائري، الشهاب، مج 5، ج10، قسنطينة غرة جمادى الثانية 1348هـ- نفامبر 1929م.